

جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

الأستاذ : عمر بوصبيح

المادة : الحضارة الرومانية – محاضرات-

المستوى: السنة الثانية ماستر

التخصص : تاريخ الحضارات القديمة

السنة الجامعية: 2023/2022

السداسي : الثالث

المحاضرة الأولى

شبه جزيرة إيطاليا: الدراسة الطبيعية

I- الموقع الجغرافي

تعتبر شبه جزيرة إيطاليا الاطار الجغرافي الأول للحضارة الرومانية، وذلك لكون تلك الحضارة قد بزغ نورها من خلال مدينة روما الواقعة إلى الشمال الشرقي من شبه الجزيرة الإيطالية، تلك المدينة التي استطاع مواطنوها المعروفين باسم الرومان أن يحولوها من مصاف المدن إلى مصاف الدول، لتبسط بذلك هذه الدولة نفوذها على كل شبه جزيرة إيطاليا والجزر المجاورة لها، ومن ثم على حوض البحر المتوسط بشقيه الغربي والشرقي، ولتتحول هذه المدينة إلى نواة لحضارة متوسطة دامت لعدة قرون.

إن المتأمل في خريطة شبه الجزيرة الإيطالية يجدها مشابهة لساق بشرية قدمها في الجنوب الغربي وكعبها في الجنوب الشرقي، فهي بذلك تتوسط حوض البحر المتوسط منحدره من الشمال إلى الجنوب وكأنها تشطره نصفين حوض شرقي وآخر غربي، ولتمنح الدولة القائمة عليها موقعا استراتيجيا متميزا مقارنة بالأمم الأخرى، ذلك الموقع الذي وصفه بعض المؤرخين بالحربي والذي مكنها من السيطرة على العالم القديم.

يصل طول شبه الجزيرة الإيطالية إلى حوالي 1150 كم من الشمال إلى الجنوب، ويبلغ أقصى عرض لها في الشمال عند سهل البو حوالي 850 كم ليتضاءل جنوبا فيبلغ ما بين 140 و160 كم.

يحد شبه جزيرة إيطاليا من ناحية الشمال العديد من الدول الأوروبية، فمن الشمال الشرقي تحدها جمهوريتي كرواتيا (Croatie) وسلوفينيا (Slovénie) الحاليين، ومن الشمال دولتي النمسا (Autriche) وسويسرا (Suisse)، أما من ناحية الشمال الغربي فتحدها فرنسا (France)، ومن جميع النواحي الأخرى تحاصرها

أجزاء من البحر المتوسط، فمن الشرق يحاصرها البحر التيراني (Mer Tyrrhénienne) ومن الجنوب البحر الأيوني (Mer Ionienne) أما البحر الأدرياتيكي (Mer Adriatique) فهو الذي يرسم حدودها الشرقية.

كانت تتبع إيطاليا منذ عصر الجمهورية الرومانية العديد من الجزر المحاذية لها مثل صقلية (Sicile) التي يفصلها عن شبه جزيرة إيطاليا مضيق ميسينا (Massine)، وجزيرة سردينيا (Sardaigne) بالبحر التيراني، وكذلك جزيرة ألبا (Alba) الواقعة بين جزيرة كورسيكا وساحل إيطاليا الغربي.

II- التضاريس والمناخ

عُرِفَتْ إيطاليا منذ القديم بأشهر سهولها وأكثرها اتساعا وهو سهل البو الواقع شمال شبه الجزيرة، والذي تطوقه سلسلة جبال الألب، تلك السلسلة التي لطالما كانت جدار صد ضد الغزاة القادمين من أوربا، والتي تمتد من الشمال الشرقي حيث البحر الأدرياتيكي، وتنتهي في أقصى الشمال الغربي لإيطاليا بالقرب من نيس (Nice) على الريفيرا الفرنسية. وقد استمد هذا السهل أهميته في حقيقة الأمر من نهر البو الذي يجري عبره والذي يعتبر من أهم أنهار إيطاليا وأعظمها على الإطلاق، حيث ينبع من جبال الألب في أقصى الغرب ويتدفق بعد أن تغذيه روافد أخرى تتبع من الألب في العديد من الأماكن نحو الشرق ليصب في البحر الأدرياتيكي شرقا، وبذلك يعمل هذا النهر على نقل الكثير من الرواسب الطمية من مرتفعات الجبال وترسيبها في سهل البو الأمر الذي عمل على زيادة خصوبة تربته بشكل مستمر.

أما سهول إيطاليا الأخرى فهي تنتشر في الشرق والغرب على سواحل شبه الجزيرة، غير أن الاختلاف بين الجهة الشرقية والجهة الغربية كان واضحا من خلال اختراق سلسلة جبال الابنين (L' Apennin) لشبه الجزيرة من الشمال إلى الجنوب، تلك السلسلة التي بالنسبة لإيطاليا بمثابة العمود الفقري لجسم الإنسان، تحتمي بفضلها شواطئ البلاد الغربية من الرياح الشمالية الباردة، وتتبع منها أنهار تمنح الحياة

لسهولها وترويتها وتصب مياهها في نهاية المطاف في خلجان البحر ذات المناظر الساحرة، و تبدأ تحديدا هذه السلسلة من الطرف الجنوبي الغربي لجبال الألب في شمال غرب إيطاليا، وتمتد شرقا في شكل قوس مفرطح تقريبا ثم تنزل جنوبا لتصل أقصى جنوب شبه الجزيرة الإيطالية نحو الشواطئ الشرقية، وفي هذا الإطار وصف المؤرخ الألماني تيودور مومسن (Théodor Mousmen) إيطاليا بأنها غصن قوي تفرع عن سلسلة جبال الألب الغربية متجها نحو الجنوب الغربي. وقد نتج عن ميلان جبال الابنين نحو الشرق أن ضاقت مساحة السهول الشرقية الإيطالية التي أصبحت محصورة بين مرتفعات جبال الابنين العالية وبين البحر الأدرياتيكي، لتلامس هذه السلسلة شواطئ حوض الأدرياتيكي بالكتلة الجبلية التي تعرف باسم الأبروز (Les Abruzzes) ثم تتجه السلسلة نحو الجنوب بعلو ثابت، ولينضاء بعد ذلك علو جبالها وتنقسم إلى سلسلتين صغيرتين إحداهما أقل ارتفاعا من الأخرى تتجه نحو الجنوب الشرقي، والثانية أكثر وعورة وأخطر انحدارا والتي تتجه مستقيمة نحو الجنوب، لتنتهي سلسلة جبال الابنين من الجهتين بما يشبه الجزيرتين الصغيرتين. ومن هنا صار الشريط الساحلي الشرقي متصفا بالضيق من الشمال إلى الجنوب ولا يتسع إلا عند منطقة أبوليا (Apulie) في الجنوب الشرقي حيث تبتعد سلسلة جبال الابنين نحو الغرب فاسحة المجال لسهل متسع به مراعي غنية وتربة خصبة، ومن أهم مناطق ذلك الشريط الساحلي الشرقي في الشمال نجد سهل أمبوريا (Ombrie)، بيكينيوم (Picenum) وأبوليا، أما أقصى الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة فيوجد به سهل كالابريا (Calabrie)، كما تجتاز هذه السهول الضيقة بعض المجاري المائية مثل الريبكون (Rubicon) شمال أمبوريا، ونهر أوفيدوس في منطقة أبوليا الجنوبية.

وبخصوص الجهة الغربية التي كانت أوفر حظا من خلال اتساع سهولها وفساحتها نظرا لانحناء سلسلة جبال الابنين نحو الشرق لتفسح المجال لثلاثة سهول شاسعة عرفت بها إيطاليا منذ القديم وهي على الترتيب من الشمال إلى الجنوب : سهل أتروريا (Etrurie)، مهد حضارة الأتروسك والذي يجري نهر الأرنو (Arno) ، وسهل اللاتيوم (Latium) الذي يجتازه نهر التيبر (Tibre) وهو الإقليم الذي تأسست

به مدينة روما (Rome) القديمة، وهو الموطن الأول للغة اللاتينية قبل انتشارها، ثم سهل كمبانيا (Campanie) في الجنوب الغربي والذي تأسست به عدة مدن شهيرة كانت وجهة لهجرات سكانية مبكرة من بلاد الإغريق مثل كپوا (Capoue) وتقع به أيضا مدينة بومبيي (Pompéi) التي غمرتها حمم بركان فيزوف (Éruption du Vésuve).

كانت السواحل الإيطالية والتي يصل طولها إلى أكثر من 3000 كم، وخاصة تلك السواحل الشرقية منها على عكس السواحل اليونانية مستقيمة في معظمها وقليلة التعاريج، لذلك فهي تفتقد إلى الخلجان والمراسي أو الموانئ الطبيعية التي يمكن أن تستخدم في الملاحة، لذلك لم نسمع من خلال الأحداث التاريخية في إيطاليا قديما عن موانئ عديدة وكان الإيطاليين لم يكونوا يملكون خلال عصر الجمهورية الرومانية سوى ميناء واحد هو ميناء برونديزيوم (Brundisium) في أقصى الجنوب من كالابريا.

أما مناخ شبه الجزيرة الإيطالية فكان متباينا بين الشمال والجنوب، أما الجهة الجهة الجنوبية فيسودها مناخ البر الأبيض المتوسط حيث الجفاف و سطوع الشمس والحرارة صيفا، بينما تكثر الأمطار شتاءً ولكن يغلب على هذا المناخ الاعتدال على وجه العموم، أما في الشمال فيسود المناخ الألبى حيث الثلوج والبرد الشديد شتاءً.

وكما تغنى مفكرو اليونان ومؤرخوهم بجمال طبيعتهم وسحرها، كذلك عبر مؤرخو الرومان وشعرائهم عن شغفهم ولعهم بطبيعة بلدهم التي تتعاقب فيها الجبال بالسهول والوديان وتنتشر بها الشواطئ التي تلامس البحر من ثلاث جهات، فيقول فيرجيليوس (Virgile): "هذا الربيع الدائم والصيف حتى في غير أشهره، هنا تلد الأنعام مرتين في السنة وتثمر الأشجار مرتين."، ويعبر بلين الكبير (Plin l'Ancien) عن فتنته بجمال بلده فيقول: "ليس على ظهر الأرض ولا تحت قبة السماء بلاد تماثلها في جمالها وروعة منظرها."

المحاضرة الثانية

شبه جزيرة إيطاليا الدراسة البشرية

1- سكان إيطاليا خلال العصور الباكرة

يرجح المؤرخون أن البشر قد عاشوا في منطقة شبه جزيرة إيطاليا منذ العصور الباليوليتيكية، حيث أنه من الممكن تفحص آثارهم إلى غاية عصر الانحسار الجليدي الثالث، وبذهب علماء حضارات ما قبل التاريخ إلى أن ظهور الإنسان المبكر في إيطاليا كان مع ظهور الإنسان العاقل (Homosapiens) وذلك قبل خمسين ألف سنة عندما ذاب الجليد وبدأ الدفئ. ومع دخول الزراعة إلى المنطقة تضاعف عدد سكان إيطاليا، ويمكن القول أن شعب إيطاليا في تلك الفترة كان أغلبه فرع من نوع متوسطي (Méditerranéens)، قصير القامة طويل الرأس، قاتم الشعر، ذلك النوع الذي يعتقد العلماء أنه دخل إيطاليا من شمال إفريقيا، عبر صقلية ومالطا كما دخل إلى إسبانيا عن طريق مضيق جبل طارق ثم اجتاح سواحل إسبانيا وفرنسا ووصل إلى شمال إيطاليا. وكان ذلك حوالي 5000 ق.م، وظل ذلك العنصر يشكل النسيج السكاني لإيطاليا إلى غاية منتصف الألف الثالث ق.م.

كان كل من جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية يعيشان مظاهر حضارية متشابهة مع نهاية العصر النيوليتيكي، وذلك من خلال تأثير الحضارة الإيجية أو المينيوية، لكن بقية أجزاء شبه الجزيرة الإيطالية وخاصة المناطق الشمالية منها، تعرضت للعديد من هجرات الشعوب الهندوأوروبية منذ حوالي 2000 ق.م. كانت الهجرة الأولى مع نهاية العصر النيوليتيكي في إيطاليا وبداية عصر النحاس و البرونز، أي مع بداية الألف الثاني ق.م، وخلالها اندفعت جموع من الشعوب الهندو أوربية عبر منافذ جبال الألب في شمال إيطاليا واستقروا في السهول الإيطالية الغربية، جالبين معهم ثقافات المناطق التي قدموا منها، وهي حوض

الدانون الأعلى وسويسرا، وقد أقام هؤلاء السكان مستعمراتهم فوق البحيرات فثبتوا بيوتهم الخشبية فوق أعمدة و أسافين من جذوع الأشجار غرست في أرض البحيرات.

أقام هؤلاء الوافدون الجدد قراهم على شواطئ بحيرة ماجيوري (Maggiore)، ومن ثم انتشروا في المنطقة الغربية في وادي البو بالقرب من بحيرات أخرى، وقد عرفت هذه القرى نوعا جديدا من المساكن يسمى مساكن الركائز (Palafitte) وذلك بغية انقاء هجمات وحوش الآدميين. أعقبت، هذه الهجرة هجرة أخرى حدثت حوالي 1700 ق م وفدت من خلالها مجموعة عرقية من أواسط أوربا لتستقر في سهل البو، وفي الجنوب والشرق من منطقة البحيرات، وقد أطلق العلماء المحدثون اسم تيرامارا (Terramare) على حضارة هؤلاء الوافدين وتعني تيرامارا الأرض الخصبة السوداء.

وتجدر الإشارة أنه في أواخر عصر البرونز، أي بين 1500 و 1100 ق.م، استطاع الموكينيون الإغريق الوصول بتجارتهم إلى الشواطئ الإيطالية الغربية، وقد أقاموا بها مستوطنات هناك، ويبدو أنه قد سبق الموكينيين إلى معرفة إيطاليا أهل كريت وجزر بحر إيجه، ويلاحظ أن النفوذ الموكيني في تلك الفترة قد وصل حتى أقصى الغرب الإيطالي بل أنه يظهر بشكل جلي في جزيرتي صقلية وسردينيا اللتين كانتا من ابرز المناطق التي ظهرت بها معالم الحضارة الموكينية خلال عصر النحاس والبرونز.

ويعزو بعض الباحثين ظهور حضارة عصر الحديد في إيطاليا إلى هجرة هندو أوربية جديدة حدثت مع بدايات الألف الأولى ق.م، قادمة من وادي الدانون حيث ازدهرت حوالي أواخر الألف الثانية ق م صياغة الأدوات الحديدية، وقد ساهمت هذه الهجرة في تسريع عملية التطور الحضاري في شمال إيطاليا. وقد أطلق علماء الآثار مصطلح حضارة فيلانوفا (Villanova) على هذه الحضارة التي وجدت آثارها في بنايات تقع إلى الجنوب من جبال الابنين في شمال غرب إيطاليا. نسبة إلى مدينة فيلانوفا (Villaonova) القريبة من مدينة بولونيا Bologna الواقعة في شمال شرق إيطاليا.

وإذا كانت شبه جزيرة إيطاليا قد عاشت إلى غاية بواكر عصر الحديد على وقع انتشار العديد من الجماعات الإنسانية بأرضها نتيجة الهجرات المتتالية التي قدمت لها، والتي لعبت دورا مهما في تاريخها خلال العصور التاريخية، فإنه من الصعب رغم ذلك تتبع تاريخ وحركة تلك الجماعات البشرية قبل القرن السادس ق.م، ذلك التاريخ الذي يمكن فيه حسب المعطيات التاريخية، ضبط الخارطة البشرية للشعوب التي كانت تقطن إيطاليا، وتصنيفها اعتمادا على معياري الجنس واللغة لتمييز مكونات سكان إيطاليا في تلك الفترة، وبذلك عمل المؤرخون من خلال تلك الأسس على تقسيم سكان إيطاليا عند القرن السادس ق.م إلى قسمين مهمين هما: الجماعات الإيطالية والجماعات غير الإيطالية.

ويصف أحد المؤرخين إيطاليا خلال العصور التاريخية على أنها كانت فسيفاء من الشعوب، البعض منها مستقر في مساحات محدودة من شبه الجزيرة، والبعض الآخر لا يزال في حالة حركة.

2- سكان شبه الجزيرة الإيطالية مع بداية القرن السادس ق م

أ- الشعوب الإيطالية

- اللاتين: كانوا يقطنون الضفة الجنوبية الشرقية من نهر التبر، تلك المنطقة التي تعتبر السهل الوحيد في إيطاليا الوسطى بين التبر ومرتفعات الألبين (Les Monts Albins) والتي تنتشر وتمتد نحو مستنقعات البونتين (Pontins). ويعتقد أن اللاتين هم نتاج تمازج أربعة عناصر سكانية وهم: مهاجرو العصر الحجري الحديث، ومهاجرو عصر البرونز من الهندو أوربيين ومهاجرو عصر الحديد من الناطقين اللغة الهنو أوربية وفئة من الاتروسكيين المجاورين لهم والذين بسطوا نفوذهم لفترة من الزمن على إقليم لاتيوم. ويمكن اعتبار بعض القبائل التي كانت تقطن مشارف سهل اللاتيوم مثل الهرنيكي (Hernice) والفالسيكي (Falisci) من شعب اللاتين نظرا للشبه الكبير الذي يربط هذه الفئات بهم من حيث الجنس واللغة.

• الامبوريون (les Ombriens): كانوا يشكلون أحد أهم شعوب إيطاليا قبل قيام الحضارة الأتروسكية، وكانوا يستقرون في مجال جغرافي يمتد من المنطقة الخلفية للساحل الأدرياتيكي إلى مجرى نهر التبر الأعلى، هذا النهر الذي كان يفصلهم من ناحية الجنوب عن اللاتين. ويعتقد أن الامبورين قد أقاموا مدة من الزمن على شاطئ البحر التيراني لأن اسمهم مشتق من اسم نهر الامبرون (Ombrone) أو (Ombro) ذلك الذي ينبع بالقرب من مدينة غروسيتو (Grosseto). ويمكن تمييز بطنين كبيرين من تلك القبائل الأمبورية التي كانت تعيش في وديان المنطقة الوسطى لجبال الابنين، أي في الشرق والجنوب الشرقي لسهل اللاتيوم، وهي قبائل الأومبري (Ombri) في الشمال والتي كانت تستخدم اللهجة الامبورية وقبائل السابيلي (Sabelii) والتي كانت تستخدم اللهجة الأوسكية في الجنوب.

وفي حقيقة الأمر كان الأمبرويون ينقسمون إلى عدد من القبائل التي تصل بينها صلات قرابة وطيدة وهي قبائل السابني (Les Sabins) والسمنيين (Les Samnites)، والمارسيين (Les Marses) الذين يعيشون على ضفاف بحيرة فوسنيا (Fucin) إضافة إلى قبائل البيلينيين (Les Pelignes) والفولسك (Les Volsques) والآيكي (Aequi)، الهرييني (Hirpins) والفسيني (Vestini) وكانت قبائل السمنيين أقوى القبائل على الاطلاق من بين القبائل السابيلية.

ب- الشعوب الغير ايطالية: (Les Lagures) وهم شعوب:

- الليغوريون (les Ligures)
- الاتروسك (Les Etrusques)
- شعوب الفينيت (Vénètes) والرايتي (Rètes).
- شعوب البيكنس أو السكنتس (Picens ou Picentes)
- شعوب اليابيغي (Japyges)
- اللوكانيون و البروتيون: (Lucaniens/ Bruttians)

- شعوب الأوسك (Osques) والأوسون (Ausons)
- شعوب السيكان (Sicanes) والسيكول (Sicules)
- الإغريق والفينيقيون (les Grecs et les Phéniciens)

المحاضرة الثالثة

مصادر دراسة الحضارة الرومانية

من الخطأ الاعتقاد أن مظاهر التاريخ الروماني قد أصبحت معروفة بشكل يمكن معه القول أن البحث في هذا التاريخ لم يعد مجدداً. لذلك لا يعتبر التاريخ الروماني تاريخ حضارة منقرضة، بل في الواقع يعتبر تاريخاً حياً، فلا توجد في الحقيقة رواية لتاريخ روما مثبتة بشكل نهائي وكذلك الحال بالنسبة للحضارة الأتروسكية التي تمثل إحدى الحضارات المهمة التي ساهمت في التأثير المباشر على الحضارة الرومانية. والحال ذاتها تنطبق على بلاد غالة وبلاد المغرب قبل وبعد دخول الرومان إليهما.

ومن هنا يمكن تمثيل عملية البحث في التاريخ الروماني بتلك الورشة الكبيرة التي تعرف أشغالها تطوراً مستمراً بمساهمة بعض العلوم المساعدة كعلم دراسة النقوش، وعلم المسكوكات وكذا علم الآثار، ويبقى قبل ذلك وبعده مكانة النص الأدبي الذي يظل أهم مصدر يبني عليه المؤرخ عمله، ذلك العمل الذي يقوم على مقارنة ومقابلة ومقارنة النصوص الأدبية بغيرها من المصادر الأخرى.

إن كتابة التاريخ الروماني تعتمد أساساً على مقارنة ومقابلة مصادره التي تنوعت بين مصادر أدبية وغير أدبية.

1- النصوص الأدبية:

تعتبر المصادر الأدبية أهم مصدر يستقي منه المؤرخ معلوماته بشكل مستمر، فهو النوع الأكثر شهرة واستعمالاً من بين المصادر التاريخية، وذلك بفضل الأعمال الفيلولوجية (Philologie)¹ التي تضع رهن إشارة الباحثين نصوصاً محققة بعناية فائقة، وبجدية نادرة، وفي غالب الأحيان مترجمة إلى لغات حية مما يجعلها سهلة المنال.

¹ Philologie : C'est l'étude d'une langue par l'analyse critique des textes.

الفيلولوجيا: هي دراسة لغة وأدبها انطلاقاً من وثائق مكتوبة أي هي نوع من التركيب بين النقد الأدبي، التاريخي واللساني.

كان من أهم المؤرخين الذين كتبوا تاريخ روما والذين وصلوا ما عرف بمنهج مدرسة الحوليات: تيتوس ليفيوس (Tite-Livie) (56 ق.م-17م)، ديونيسيوس الهاليكارناسي (Denys d'Alicanasse) (60 ق.م- بعد 8م) و ديودور الصقلي (Diodore de Sicile) (90 ق.م-30 م) إلا أن هؤلاء لم يكونوا معاصرين لفترات تاريخية كتبوا عنها، ومع ذلك وصلوا عمل من سبقهم من كتاب سابقين لم تصلنا أعمالهم كاملة مثل فابيوس بيكتور (Fabius Pictor). الذي كان عضوا في مجلس الشيوخ الروماني أواخر القرن الثالث ق.م.

كما يمكننا أن نذكر من أبرز المؤرخين لتاريخ الرومان اللاحقين:

- تاسيتوس Tacite (58 م-120 م).
- سالوسيتوس Salluste (86 ق.م- 34 ق.م).
- بوليبيوس (Polybe) (208 ق.م - 126 ق.م)
- ديون كاسيوس (Dion Cassius) (155 م - 235 م)
- أبيانوس (Appien) (95 م-165 م)
- بلين الكبير (Pline l'Ancien) (23 م-79 م)

2-المصادر المنقوشة:

تطور علم يختص بدراسة الكتابات المنقوشة القديمة وهو علم النقائش (Epigraphie) الإبيغرافيا، وذلك لكثرة تلك الكتابات المنقوشة على الأحجار واللوحات البرونزية أو الرخامية والتي ساهمت في إعطائنا صورة واضحة عن بعض القوانين، المراسيم، الوثائق الدينية والخاصة وكذا الوثائق العسكرية الرومانية.

3- علم البرديات (Papyrologie):

يهتم مختصو هذا الورق بدراسة النصوص المكتوبة بلغات أو لهجات مختلفة (الهيروغليفية، الأرامية، القبطية والعربية...) غير أن جزءاً كبيراً منها كُتِبَ باللاتينية أو الإغريقية وهي التي تهتم دارس التاريخ الروماني.

4-المصادر الأثرية:

إن علم الآثار أو الأركيولوجيا (Archéologie) هو ذلك العلم الذي يهتم بدراسة المصادر المادية للتاريخ القديم، فإذا كان علم الفيلولوجيا يهتم بدراسة مصادره الأدبية أي دراسة النصوص المنقوشة على الحجر أو المكتوبة على ورق البردي، فإن اكتشاف هذه الأخيرة هو من مهام عالم الآثار لذلك فالعلاقة بين العلمين وطيدة وقوية، وتجدر الإشارة إلى أن علم الآثار قدم في العقود الأخيرة معلومات هامة ساعدت على تطوير معارفنا حول مختلف مظاهر الحضارات القديمة بشكل أضحى معه هذا العلم مصدراً أساسياً للتاريخ القديم.

5-علم المسكوكات النقدية:

تكمن أهميتها في كونها تكشف العديد من مظاهر الحياة في العصور القديمة، فالقطعة النقدية تحمل عادة كتابة منقوشة وصورة، وكلاهما مصدران لمعلومات قد لا توفرها العلوم الأخرى.

6-الصورة:

يدخل ضمن إطار الصور كل الأشكال المرسومة سواء كانت مصبوغة على المزهريات أو الجدران أو فضاءات أوسع أو كانت تأخذ شكل فسيفساء. تشكل الصورة في الحقيقة تعبيراً فنياً عن أفكار تاريخية تخص الجانب الديني أو الخرافي أو الحضاري عموماً، وهي تسمح للمؤرخ بالتعرف على جوانب في الثقافة والفنون في فترة تاريخية ما.

المحاضرة الرابعة

روما القديمة: الأسطورة و الحقيقة.

تقع روما القديمة على تخوم سهل اللاتيوم الشمالية ، على الضفة اليسرى لنهر التبر الذي يعتبر حداً طبيعياً يفصل بين سهل اللاتيوم وأتروريا، تبعد عن البحر نحو 22 كلم. وتذكر الروايات القديمة أن المستوطنة الأصلية التي قامت عليها روما كانت على تل البلاتين (Palatin) وهو واحد من التلال المجاورة القريب من نهر التبر، يتراوح ارتفاعه بين 30 و 50 متر، وتستطرد هذه الروايات لتتحدث عن توسع مستوطنة البلاتين لتضم المنطقة المعروفة بمنطقة الشعاب السبعة.

وإذا ما عدنا للحديث عن نشأة وتأسيس روما القديمة وتاريخها المبكر اعتماداً على المؤرخين وغيرهم من الكتابات الأدبية لوجدنا أن معظم من كتبوا عن تلك الفترة ممن بقيت كتاباتهم قائمة حتى الآن، كتبوا عنها بعد خمسمائة (500) عام على الأقل من وقوع الأحداث. وعلى مدى تلك الفترة الزمنية الطويلة بعد وقوع الأحداث وروايتها، لم يعد من السهل التمييز بين الحقيقة والأسطورة أو بين الواقع وما امتزج به من خيال في تلك الأحداث.

ولما كانت حضارة بلاد الإغريق المجاورة أقدم وأعرق من المدينة والدولة الرومانية الوليدة، فقد كانت هناك رغبة في جانب الرومان في ربط جذورهم الأولى بأحداث وقعت على الجانب الإغريقي، لذا ربط الرومان جذورهم الأولى بالحدث الأشهر في تاريخ اليونان في العصر الموكيني، وهو حرب اليونان ضد طروادة في شمال غرب آسيا الصغرى، وتدميرهم لها في أوائل القرن الثاني عشر (1184 ق.م)، وهو الحدث الذي تروي ملاحم هوميروس الشهيرة الإلياذة و الأوديسة بعضاً من فقراته المؤثرة.

إلا أن رأياً آخر يذهب إلى أن روما قد استرعت اهتمام الإغريق خلال القرنين الخامس والرابع ق.م، وكان الإغريق معروفين بخيالهم الخصب ويسارعون إلى ابتكار مؤسس أسطوري لكل مدينة تفتقر إلى أسانيد صحيحة عن نشأتها، لذلك لم يلبثوا أن أدلوا بدلوهم في هذا الأمر وربطوا نشأة روما بماضيهم الأسطوري، مما أفضى إلى أساطير مختلفة، كان مؤسس روما فيها جميعاً إما أحد أبطال أساطيرهم، وإما سليل واحد من هؤلاء الأبطال.

ورغم اختلاف الرأيين إلا أنهما يتفقان في أن الرومان الأوائل ينتسبون إلى أمير طروادي يدعى إنياس (Enée) ابن الإلهة أفروديتي، وهو البطل الذي تُنسبُ إليه إياذة الشاعر الروماني فرجيليوس (Virgile). وتروي الملحمة قصة طواف إنياس الطروادي - بعد فراره من المدينة المدمرة، ورحلاته في أرجاء البحر المتوسط برفقة أبيه أنخيسيس (Anchise) وولده أسكانيوس (Ascagne) حتى حط الرحال في نهاية المطاف في إقليم لاتيوم في وسط إيطاليا قرب مصب نهر التير، وتزوج من لافينيا (Lavinia) ابنة لاتينوس (Latinus) ملك لاتيوم، وأقام لها مدينة تحمل اسمها هي لافينيوم (Lavinium). ولكن ابن إنياس المدعو اسكانيوس ترك لافينيوم إلى ألبا لونجا (المدينة الرئيسية في الحلف اللاتيني) إلى الداخل قليلاً بعد لافينيوم حيث تعاقبت ذرية إنياس وولده أسكانيوس على حكم ألبا لونجا (Alba la Longe) وتواصلت هذه الذرية حسبما تروي الأسطورة الرومانية، وكان آخر هذه السلسلة من ملوك ألبا لونجا هو أموليوس (Amulius) الذي اغتصب العرش من أخيه الملك الشرعي نوميتر (Numitor)، ونفاه خارج ألبالونجا.

عند هذا الحد من الأسطورة تبدأ إرهابات نشأة روما، فقد قام الملك غير الشرعي أموليوس الذي نفى أخاه نوميتر وجعل الابنة الوحيدة للملك المخلوع واسمها ريا سيلفيا (Rhéa Silvia) كاهنة عذراء في معبد الربة، ولا يحق لها الزواج وذلك حتى لا تتجب من يمكن أن ينافسها على العرش بعد ذلك، ولكن فوجئ عمها الملك بعد حين بأنها حامل وأنها أنجبت ولدين توأم من الإله "مارس" (Mars) إله الحرب، هذان الولدان هما ريموس

(Remus) ورومولوس (Romulus)، وإزاء ذلك قام الملك بحبس الأم (ريا سيلفيا)، وأمر بالتخلص من الطفلين، فقام أحد الخدم بوضع الرضيعين في صندوق وألقى به في نهر التبر ظنا بذلك أنه قد تخلص منهما، وأخبر الملك بنهاية أمر الرضيعين.

وتمضي الأسطورة فتحدثنا عن مآل الصغيرين اللذين كُتِبَ لهما النجاة حين رسا الصندوق الذي يضمهما على ضفاف نهر التبر وأبصرتهما ذئبة وقامت بإرضاعهما، ثم عثر عليهما أحد رعاة قطعان الملك ويدعى فاوستولوس الذي وقام هو وزوجته أكالازنتيا بتربيتهما دون أن يعلم الملك بأمرهما. ولما شبا عن الطوق عَلِمَا بأصلهما الملكي، وأطاحا بالملك غير الشرعي أموليوس من على العرش، وأعادا جدهما الملك المخلوع "توميتور" إلى ألبا لونجا. ثم قرر الأخوان ريموس ورومولوس إقامة مستوطنة في نفس المكان الذي رسا فيه الصندوق الذي ضمهما رضيعين على ضفاف التبر.

أما التاريخ المتواتر الذي أجمعت معظم المصادر الرومانية القديمة على أنه تاريخ نشأة تلك المدينة الوليدة، التي سميت روما نسبة إلى رومولوس هو عام 753 ق.م، رغم وجود روايات أخرى مختلفة قليلا. أما مكان النشأة الأصلي هو تل البلاتين كما أسلفنا. وتروي الأسطورة أن الأخوين قدما قرابين للآلهة مع بداية الإعداد لإقامة المدينة، فأوحى إشارات العرافة عن طريق الطيور بأن الآلهة قبلت قرابين رومولوس ولم تقبل قرابين ريموس، وهو ما يوحي بتفضيل الآلهة رومولوس على ريموس ليكون ملكا على المدينة الوليدة. ولم يتقبل ريموس الأمر برحابة صدر بل أبدى ازدراءه من نتيجة العرافة من خلال القفز على بداية سور المدينة الوليدة، الأمر الذي دفع بأخيه رومولوس أو أحد رفاقه إلى قتله، وسميت المدينة روما باسم الأخ الآخر رومولوس، ويذكر أن رومولوس قد وسع من نطاق مدينته الجديدة وشجع العبيد والمحاربين وحتى المجرمين على الإقامة فيها.

ولما كان مؤسسو المدينة الجديدة كلهم من الرجال، وكانوا ييغون الحفاظ على استمرارية هذا الكيان، فقد كانوا بحاجة إلى عنصر نسائي وهو ما أوحى لرومولوس ورفاقه

بالجوء إلى خدعة لتحقيق هذا الغرض. نظم الرفاق من قاطني المدينة الجديدة حفلا وألعابا احتفالا بإنشاء مدينتهم، ودعوا إليهم جيرانهم من قبائل السابين (Sabines) المجاورة مع نسائهم وأطفالهم، وأثناء الحفل قام شباب الرومان باختطاف بنات السابين واتخذوا منهم زوجات عنوة. وقد أدى هذا الموقف إلى نشوب حرب بين الرومان والسابين، وكان يقود السابين فيها تيتوس تاتيوس (Titus Tatius) الذي حاصر الكابيتول الذي كان آنذاك القاعدة الأمامية للرومان.

ويُروى في هذا الصدد أن فتاة تدعى تارپيا (Tarpeia) ابنة القائد الروماني قد وعدت السابين بتسليم الحصن (قاعدة الكابيتول) لهم إن هم أعطوها ما يحملونه على أذرعهم اليسرى أي القلائد الذهبية. وحين اندفع السابين إلى القلعة كافأوها على خيانتها بأن سحقوها تحت دروعهم التي كانوا ينقلونها كذلك على أذرعهم اليسرى. ولكن رواية أخرى تبرز تارپيا كبطللة مضحية، وأنها كانت تتصدى وتتوي الاستيلاء على دروع السابين كي تساعد الرومان، وقد ظل الرومان يسيطرون على تل البلاتين، وبعد عدة جولات من القتال ضد السابين توصل الرومان إلى صلح معهم، توسطت لإبرامه بنات السابين المختطفات اللائي صرن زوجات للرومان. ومن بعدها عاش الرومان واستقروا جنبا إلى جنب مع السابين. ونشأت بينهم قرابة ومصاهرة، وبعد ذلك اختفى رومولوس من على وجه الأرض مغلفا في غلاله من سحاب في أثناء عاصفة رعديّة، وأعلن شهود تلك المعجزة ألوهيته وقدسيته على الفور.

المحاضرة الخامسة

التحليل العلمي والتاريخي لأسطورة التأسيس

كانت تلك خلاصة أسطورة نشأة روما، وهي تعج بالأساطير والخيال وربما لا تخلو من بعض الحقائق. ولكن ينبغي أن ندرك أن وظيفة الأسطورة في العالم القديم كانت بالغة الأهمية، ولم تكن ترمي إلى مجرد الامتاع والمؤانسة، بل كانت لها وظائف دعائية تحمل مضامين تاريخية ورسائل مباشرة وغير مباشرة. كما أن الأسطورة لم تكن كيانا ثابتا لا يتبدل وإنما كانت بالأحرى وعاءً يتسع لإضافة المستجدات التاريخية في صورة رمزية مليئة بالحيوية، تروج للأفكار ومفاهيم ومعتقد وطموحات الأمة صاحبة الأسطورة، وكذلك علاقات بالآخرين من حولها.

إن حكاية البطل الطروادي إنياس لم تبرز في إيذاة هوميروس التي تناولت حرب طروادة أو جانبا منها، إذ لم يصور إنياس كبطل بارز وشهير على اعتبار أنه ينحدر من فرع أصغر من البيت الملكي الطروادي، ولكن الإله بوسيدون (Poseidon) إله البحر عند الإغريق، تنبأ له بأن يحكم هو وذريته الطرواديين، ولكن أسطورة فراره هو وأبيه وولده من طروادة المدمرة تفاعلت وتطورت بعد هوميروس، وقد وجدت إشارات أدبية من القرن الخامس ق.م تفيد بعبور إنياس مضيق الهلسوبونت (Hellespont) "الدردنيل" وقدومه إلى الغرب، وربما أفادت كذلك إلى وجوده في إيطاليا. ولكن ليس هناك شواهد من تلك الفترة تشير إلى أن الرومان قد نظروا إليه كمؤسس لمدينتهم، رغم أن هناك من القرائن الفنية، ما يبين أن إنياس كان معروفا في إقليم أتروريا مع أواخر القرن السادس ق.م. ويتحدث المؤرخ اليوناني تيمايوس من القرن الرابع ق.م (Timeous) عن لافينوم باعتبارها أول مستوطنة أقامها إنياس في إيطاليا.

بعد ذلك فإن روما سرعان ما طورت أسطورة إنياس كمؤسس للأمة الرومانية، وربما كان هذا نابعا من نزعة قومية رومانية أرادت أن تضيء عراقا على الرومان وتقرن تاريخهم بتاريخ العالم اليوناني، وحين شن الملك بيروس (Pyrrhus) ملك إبييروس (Epire) في غرب اليونان هجومه على روما عام 281 ق. م ليساعد مدينة تارنتوم (Tarente) في حربها ضد روما، اعتبر نفسه حفيد البطل الإغريقي أخيلوس (Achile)، وأنه يشن حربا ضد مستوطنة أقامها الطرواديون (روما).

وقد اتخذت قصة الأصل الطروادي لروما شكلها الكامل في القرن الثالث ق.م، حين تم تركيبها وتوليفها لتتواءم مع أسطورة تأسيس رومولوس لروما، وهذا التركيب والتوليف لم يكن هينا من ناحية التوفيق الزمني بين البطلين (إنياس ورومولوس)، وربما قام المؤرخ فابيوس بيكتور (Fabius Pictor) والشاعر إينوس (Quintus Ennus) بمأ الفجوات الزمنية بين تاريخ سقوط طروادة 1184 ق.م، وتاريخ إقامة رومولوس لروما عام 753 ق. م (وكلاهما تاريخ افتراضي يدور حوله جدل كبير بين العلماء المعاصرين ولكنه تاريخ تقليد متواتر في المصادر القديمة)، وربما قاما بمأ الفجوات بأن جعلوا الملوك من إنياس يحكمون ألبا لونجا طيلة هذه المدة.

وهكذا فمن المؤكد أن قصة الأصل الطروادي لروما كانت قد ذاعت واستقرت خلال القرن الثالث ق.م، ولذا كان طبيعيا جدا ومألوفا أن يستوحىها الشاعر فيرجيل في القرن الأول ق.م، ويجعلها موضوعا لمحمته الشهيرة "الانيادة"، ومن المعروف أن عشيرة يوليوس قيصر (Jules César) كانت تُرَجعُ نسبها وأصلها الأول إلى إنياس الطروادي وفينوس (Venus) ربة الجمال عند الرومان، واستغلت هذه العشيرة ذلك النسب لإضفاء نوع من العظمة والمجد السياسي عليها. ولما كان أوكتافوس (Octave) (الذي سيكتسب لاحقا لقب أغسطس Auguste)، وبصبح أول الأباطرة في الامبراطورية الرومانية (27 ق.م - 14م) ابنا بالتبني ليوليوس قيصر، ولما كان فيرجيل شاعر البلاط عند أوكتافوس فقد أعاد في

ملحمته الإنيادية خلق إنياس كبطل قومي، وكجَدٍ للرومان ولعائلة يوليوس التي ينتمي إليها الإمبراطور الذي يعيش الشاعر في كنفه وتحت رعايته.

المحاضرة السادسة

روما خلال العصر الملكي

يتحدث المؤرخ الروماني تيتوس ليفيوس (Titus Live) عن سبعة ملوك حكموا روما خلال الفترة الممتدة من 753 إلى 509 ق.م، حين أطيح بالملكية وحل محلها نظام جديد هو النظام الجمهوري وهؤلاء الملوك السبعة هم على التوالي:

1- رومولوس (753-716 ق.م) مؤسس مدينة روما والجد المباشر للرومان الذي سميت المدينة باسمه واشتق الرومان نسبة اسمهم منه (سبق الحديث عنه).

2- نوما بومبيليوس Numa Pompilius (715 - 673 ق.م) حكم روما بعد الاختفاء الاسطوري لرومولوس، وهو حكيم من حكماء السابيين الذين تعايشوا مع الرومان بعد أن ربطتهم صلة القرى والمصاهرة، كان عالمًا بقوانين عصره وملما بأمر الدين والعقيدة والحياة اليومية. يذكر عنه أنه بنى معبدًا للإله جانوس (يانوس) الذي يصور برأس ذات وجهين ليعبر عن نهايات شيء مضي، وبدايات أمر جديد، فهو يمثل اليوم أو الأسبوع أو العام الجديد (من هنا اتخذ شهر يناير في بداية العام اسم الرب يانوس). عرف عنه أنه زرع الخوف من الآلهة في نفوس رعيته واهتم بأمر العبادة والعقيدة وخصص كهنة لمعبد جوبيتير (كبير آلهة الرومان) ومارس (إله الحرب) وكويرينوس (كبير آلهة السابيين وإله الحرب عندهم)، كما أنه اختار كاهنات من العذارى للحفاظ على جذوة النار المقدسة الخاصة بالربة فيستا - ربة الموقد - مشتعلة.

3- تولوس هوستيليوس **Tulus Hostilius** (641-672 ق.م):

كان ملكا محاربا جسورا فاق رومولوس في نزعته نحو الحرب، عُرفَ عنه أنه شن حربا على ألبا لونجا المستوطنة الرئيسية في إقليم اللاتيوم. أدت في النهاية إلى تدميرها وإسكان أهلها في روما.

4- أنكوس ماركوس **Ancus Marcius** (617-640 ق.م).

اشتهر بميله للسلام، لذلك شن البلاتين غارات على الرومان وتحرشوا بجنودهم مما أدى إلى نشوب حرب انتصر فيها الملك أنكوس الذي لم يفرغ من القتال لحماية شعبه رغم ميله للسلام، وقد غزا أنكوس مدن لاتيوم الواقعة بين روما والبحر، ومنح رجالها البارزين حق المواطنة الرومانية، وسمح لمن يرغب منهم بالإقامة في روما فوق تل الأفتنين (Aventin).

5- تاركينيوس بريسكوس **Tarquinius Priscus** (616 - 579 ق.م): هو نبيل أتروري

من مدينة تاركوني Tarquini الأترورية، وفد إلى روما واستقر بها في عهد أنكوس ماركوس، عرف بالشجاعة والكرم والسخاء، فذاع صيته في روما بفضل هذه الخصال، وصار معروفا للملك أنكوس الذي جعله وصيا على أولاده، ولما توفي خلفه تاركينيوس برسكوس، قام هذا الملك بغزو عدد من المدن اللاتينية، وحين فرغ من الحرب أقام معبدا لجوبيتير فوق تل الكابيتول، ثم شرع في بناء حلقة كبرى للسباقات، وكان يخطط لإنشاء أعمال أخرى، ولكنه أغتيل على يد رجلين من الرعاة، أستأجرهما لهذا الغرض أبناء الملك السابق أنكوس ماركوس.

6- سرفيليوس توليوس **Servilius Tullius** (535-578 ق.م).

كان مقربا من تاركينيوس بريسكوس، وحين تولى أحاط روما بخندق وسور، وهكذا ربط المدينة وتلالها بسياج دفاعي مترابط ومتكامل. وقد اعتقد الرومان أنه هو الذي قسم جموع الشعب إلى فئات وطبقات حسب مقدار الثروة وليس حسب العشائر كما كان الحال من قبل

ذلك، وكان على قمة هذا التقسيم -حسب درجة الثراء- الفرسان أو الخيالة (Chevaliers) وكانت ثروة الفرد منهم تؤهله لاقتناء فرس بعتاده الحربي.

7- لوكيوس تاركينيوس أو تاركينيوس سوبوريوس (Tarquinius Superbus) (534-510 ق.م).

قتل سرفيلبيوس توليوس والد زوجته واستولى على العرش، ولكن الناس سرعان ما نعتوه بلقب سوبوريوس Suberbus، أي المغرور أو المتغطرس من جراء أفعاله العنيفة المتجبرة، فقد قام بقتل أعضاء السيناتو الذين أبدوا تعاطفا وميلا للملك السابق، كما تخلص بالقتل أو النفي ومصادرة الأملاك ممن شك فيهم أو من أبغضهم من المواطنين، وكان يقوم بشن الحروب وإبرام اتفاقيات السلام والمعاهدات وفق رغبته، وكان يقوم بحرقها متى أراد. ورغم أنه قوى مكانة روما بين المدن اللاتينية إلا أنه شوه هذا النجاح حين كان يرتكب أخط الأفعال، وهو ما جعل الناس يكنون له الكراهية ولا يثقون به، ولذلك حين عاد الملك من إحدى المعارك الخارجية وجد أبواب روما مؤصدة في وجهه، هو وأسرته، وأقسم الناس على ألا يحكمهم ملك بعد ذلك اعتبارا من عام 510 ق.م.

المحاضرة السابعة

المظاهر الحضارية لروما الملكية

I - المجتمع الروماني

كانت الأمة الرومانية تتألف من كافة مواطنيها الأحرار الصالحين لأداء الخدمة العسكرية في قواتها المحاربة، والمشاركة في طقوسها الدينية والذين يحضرون اجتماعات جمعيتها الشعبية، وقد عرف هؤلاء المواطنون قديماً باسم كويريتس (Quirites)، ذلك الاسم الذي سرعان ما تحول إلى رومان (Romani) أو (Romain).

وكان المجتمع الروماني في الفترة الملكية يحوي فئتين متباينتين هما: فئة الأحرار وفئة الأرقاء، أما عن الأحرار فكانوا ينقسمون إلى طبقات تختلف في المكانة الاجتماعية وفي الحقوق السياسية وهذه الطبقات هي:

1- طبقة النبلاء.

2- طبقة الأتباع.

3- طبقة العوام.

4- طبقة العتقاء

وكانت الحقوق السياسية مقتصرة على الطبقات الثلاث الأولى من طبقات الأحرار، بينما حرمت منها طبقة العتقاء وفئة الأرقاء.

كانت الأسرة هي حجر الزاوية في بناء المجتمع الروماني وكان رب الأسرة هو صاحب السلطة المطلقة على زوجته وبناته غير المتزوجات وأبنائه وسلالتهم مهما بلغ نسلهم.

كانت كل مجموعة من الأسر تنحدر من جد واحد مشترك تؤلف عشيرة (gens)، غير أن الملاحظ أن انتظام الأسر في شكل عشائر لم يكن مألوفاً في هذا العصر إلا بين الطبقة

العليا فقط، كما أن العشائر كانت تنظيمات اجتماعية أكثر منها سياسية في الدولة، ومع ذلك فإنه كان للعشائر قدر كبير من التأثير في حياة المجتمع السياسية.

وفي هذه المرحلة كان سكان روما ينقسمون إلى ثلاث قبائل هي قبيلة اللوكرس (Luceres) وقبيلة التيتس (Tites) وقبيلة الرامنس (Ramnes)، ويعتقد أنهم كانوا ينتمون إلى أصول عرقية مختلفة فاللوكرس كانوا أتروسكيين، والتيتس سابينيون، والرامنتس كانوا من اللاتين، وكان بكل قبيلة مجلس أعيان يبحث في أمور الجماعة العسكرية والدينية وقضاياها العامة، ولكل منها عبادتها وإلهها الخاص وكاهنها.

II - التنظيم السياسي

كانت ثلاثة عناصر تمثل الحكم في روما في العصر الملكي.

1- الملك: كان يملك سلطة مطلقة، سياسة عسكرية، ودينية وكان هو القيم على النظام والأمن في الدولة ومصدر القوانين من حيث إعلانها وتطبيقها. يتم انتخابه من طرف مجلس الكور مدى الحياة، وإذا مات فإن صلاحياته تعود إلى الشعب الذي يمثله مجلس الشيوخ.

2- مجلس الشيوخ أو السيناتو: يتألف من ممثلي طبقة الأشراف أو الأسر الأرستقراطية، ويقوم الملك باختيارهم وعددهم ثلاثمائة، وكانت صلاحياته تتمثل في إسداء النصح للملك، مساعدة الملك في جميع أمور الحكم والموافقة على قرارات مجلس الكور لإعطائها الصفة القانونية.

3- مجلس الجماعات أو مجلس الكور:

يتكون من عدد الجماعات الثلاثين وعدد الأصوات فيه ثلاثون صوتاً ويكفي لإنجاح أي قرار فيه بتجميع ستة عشر (16) صوتاً، أما عن مهامه فهي:

- اختيار الملك أو انتخابه.

- استئناف الأحكام التي يصدرها الملك و أعوانه.
 - إعلان الحرب والنظر في أمور السلم والحرب.
 - النظر في منح الغرباء حق السكنى في المدينة وفي قضايا التبني والوصيات.
- لا يجتمع إلا اذا دعاه الملك للاجتماع، وبعد وفاة الملك لانتخاب ملك جديد. واذا كان اجتماعه يتعلق بشأن ديني، يحق للكاهن الأعظم ترأس اجتماعه.

III- المظهر الاقتصادي

كان النشاط الأساسي للمجتمع الروماني في بداية العصر الملكي فلاحية الأرض، ورعي الماشية، وكان الطابع الغالب على أراضي المراعي هو طابع الملكية الجماعية، في الوقت الذي كانت فيه الأراضي الزراعية يغلب عليها الطابع الفردي للملكية. ويبدو أنه رغم اتساع الإقليم في العهد الملكي، إلا أنه لم تتجاوز مساحته 500 كلم²، وهو ما يثبت أن نطاق الأراضي الزراعية والرعية لم يكن كبيرا، إلا أنه كان يتناسب في تلك الفترة مع عدد سكان المجتمع الروماني.

وعلى حسب ما رشح من معلومات من خلال المصادر القديمة، فإن الإنتاج الزراعي الغالب للرومان في بدايات العصر الملكي، كان نوعا خشنا من الحبوب الذي يصلح لصنع السليقة (عصيدة - حساء) أكثر منه لصنع الخبز، لذلك يبدو أن الغذاء الغالب للرومان في تلك الفترة كان السليقة، مع تناول اللحوم في المناسبات المهمة. كما ورد ذكر عيد الكروم بين أعياد الرومان الأوائل، وهو ما يدل على وجود لغراسة أشجار الكروم ولو على نطاق ضيق، أما أشجار الزيتون فلم يثبت وجودها أو زراعتها في الإقليم الروماني في تلك الفترة.

وإذا كان من الثابت أن المجتمع الروماني في العصر الملكي كان مجتمعا ريفيا، إلا أن هنالك إشارات توحي بأن هذا العهد شهد نشاطا ملموسا في مجالي التجارة والصناعة، فقد

حققت صناعات الفخار والبرونز والحديد قدرا من التقدم في ذلك العصر. هذا بالإضافة إلى بعض الصناعات الخشبية ودباغة الجلود وصياغة الذهب. أما بالنسبة للتجارة فإن العثور في روما على بعض الآنية الكورنثية والأتيكية (الاعريقية) التي تعود لتلك الفترة، يدل على نمو تجارة روما الخارجية، ويبدو في هذا الشأن التأثير الواضح للأتروسكيين في مجال الصناعة والتجارة على ما حققته روما من تقدم في هذين المجالين في وقت مبكر.

IV - الديانة الرومانية في العصر الملكي

تأثرت الديانة الرومانية بالطابع الريفي للمجتمع، حيث أننا نجد كل أسرة تعبد الأرواح أو القوى التي ترعى بيتها ومحيط عملها، وأهم تلك الأرواح أو القوى: جانوس (Janus) حارس الباب، و لار فاميلياريس (Lar Familiaris) حامي البيت والأرض بوجه عام، وبناتس (Penates) حماة مخازن الحبوب، وفتا (Vesta) راعية نار البيت، ومارس (Mars) باعث الحياة في النبات كل ربيع، وجوبيتير (Jupiter) المسيطر على الشمس والأمطار، ويونو (Juno) راعية النساء في مضاجعهن ومخاضهن.

ويبدو أن الرومان ظلوا لمدة طويلة عاجزين عن تصور أشكال لآلهتهم، ولم يكونوا متأكدين إن كانت هذه الآلهة من الذكور أو من الإناث، أما مظاهر عبادتهم فكانت في البداية لا تخرج عن التضرع وسكب قدر من اللبن أو من النبيذ وفقا لأصول تطورت مع الزمن تخص تنظيم هذه الشعائر من أجل كسب رضا الآلهة.

أما ديانة الدولة الرومانية فكانت تماثل إلى حد كبير ديانة الأسرة، ذلك أن الدولة جعلت من التعبد إلى جانوس وفتا ولارس وبناتس وغيرها من حماة المساكن والمزارع وقطعان الماشية والأغنام، عبادات عامة تقام لها شعائر تشبه في جوهرها الطقوس التي كانت الأسرة تقيمها لهذه المعبودات. بل إضافة إلى ذلك، جعلت الدولة من هذه المعبودات الريفية حماة للمجتمع بأسره في كل وجوه نشاطه، ولذلك أصبح في الديانة الرسمية جانوس حارس أبواب روما،

ومارس الإله الذي يحول تيار المعارك الحربية لصالح الدولة الرومانية، وكذلك أصبح جوبيتر الإله الأكبر الذي يسهر على مصالح الدولة، ويساعده في هذه المهام جونو ومينيرفا، ومن هذه الآلهة الثلاثة تكون الثالوث الأكبر الروماني.

وتجدر الإشارة إلى أن الديانة الرومانية في العهد الملكي قد خضعت لتأثيرات أتروسكية وإغريقية، لأن المعبودات الثلاثة السابقة الذكر ظهرت قبل ذلك في أتوريا، كما أن عددا من المعبودات الرومانية التي كان بعضها أتروسكيا دون شك، كان بعضها الآخر وإن استخفت وراء أسماء لاتينية أو أتروسكية، كانت تنتمي إلى أقدم مجموعة من الآلهة الإغريقية مثل: مينيرفا = أثينا.

قورس = Ceres = ديميتير Demeter

ليبير = Liber = ديونيسوس (Dionisos)

ليبير = Libera = قوري Core

هرقليس = Hercules = هرقليس Hercules

ديانا = Diana = أرتميس Artemis

مورقوريوس = Mercurius = هرمس Hermes.

وأبولون Appolon الذي احتفظ باسمه الإغريقي.

المحاضرة الثامنة

روما خلال العصر الجمهوري

في سنة 510 ق.م أي بعد 244 سنة من تأسيس روما أسقط الشعب الروماني الملكية وأقسم أن لا يقيمها بعد ذلك. تأسست حكومة جديدة أو نظام حكم جديد وظل قائماً حوالي خمس مائة سنة: الجمهورية الرومانية.

يمكن تقسيم تاريخ الجمهورية الرومانية إلى قسمين.

(1) من سنة 510 ق.م إلى بداية الحروب البونية (264 ق.م): وفي هذه الفترة عمل

العامة في روما على تحصيل المساواة في الحقوق المدنية والسياسة مع الأشراف.

وفي خارج روما أصبحت تلك المدينة شيئاً فشيئاً سيدة إيطاليا.

(2) من اندلاع الحروب البونية إلى غاية تأسيس الإمبراطورية من طرف أغسطس

أوكتافيوس (30 ق.م):

عرفت الحياة الاجتماعية والسياسية في روما العديد من الاضطرابات

والاهتزازات نتجت حسب المؤرخين من انعكاسات الحروب الخارجية عليها، وبعد عدة

حروب أهلية وعدد من محاولات الإصلاح انهارت الجمهورية (النظام الجمهوري).

وفي الخارج غزت روما وسيطرت على كامل الحوض المتوسطي وأصبحت عاصمة

لإمبراطورية عظيمة.

الجمهورية الرومانية من التأسيس إلى اندلاع الحروب البونية: 510 - 264 ق.م

ناضل العامة في روما من أجل الحصول على نفس الحقوق المدنية والسياسية التي يتمتع بها الأشراف، فتحصلوا سنة 493 ق.م على منصب التربيون بعدد إثنين (02) وهم محامون ينتخبهم العامة للدفاع عن مصالحهم ضد الأرستقراطيين، وكانوا يتمتعون في السيناتو باستخدام حق الاعتراض (الفيتو) (Veto)، كما تحصلوا على منصب الإيديل بعدد ثلاثة (03)، وهو موظف عمومي يختص بالإشراف على المنشآت العامة والأسواق، ونظم المرور وكيفية إمداد المدينة بالمياه.

وبعد تعيين لجنة العشرة (Decemvirs) التي أوكلت إليها كتابة قانون يحتكم إليه الأرستقراطيين والعامة معا يكون مكتوبا و معلوما للطرفين، كُتِبَ في روما ما يعرف بقانون الألواح الاثني عشر (449-451 ق.م). (المساواة في الحقوق المدنية اكتملت)، وبذلك أكمل العامة شوط نضالهم من أجل المساواة في الحقوق المدنية أما المساواة السياسية فقد تحققت من خلال شغل ممثلي العامة لمناصب سياسية عليا (Megistrature) مثل:

أ- **الكانسور Censeur**: يقوم بعمل تعداد للسكان كل خمس سنوات، ويقدر قيمة المقاطعات تمهيدا لفرض الضرائب عليها، ويمرور الوقت أضيفت له سلطات أخرى كمراقبة الأخلاق وتصرفات المواطنين.

ب- **القنصل Counsul**: وهي أهم وظيفة يستغلها شخص في عصر الجمهورية، وعادة كان الشعب ينتخب قنصلين كل عام، وطوال عصر الجمهورية كان القنصل يتمتعون بسلطات عسكرية كبيرة نظرا لأنهم كانوا خلفاء الملوك القدماء، أما في العصر الامبراطوري فقد تحولت القنصلية إلى وظيفة شرفية.

ت- **الكويستور Questeur**: ويختص بالشؤون المالية في عصر الجمهورية.

ث- **البرايتور**: وظيفة عامة يختص شاغلها بالإشراف على شؤون العدالة وكان هناك برايتور للأجانب.

ج-الدكتاتور: وهو منصب يُعطى صاحبه السلطة العليا لمدة ستة أشهر وذلك في حالة وجود تهديد داخلي أو خارجي غير عادي للدولة.

وكان ذلك التحصيل في الحقوق بين سنتي (421-337 ق.م). وحين صار من حق العامة أن ينخرطوا في صفوف كبار الكهنة والعرافين تحققت لهم ما عرف بالمساواة الدينية وكان ذلك حوالي (300 ق.م).

أما من الناحية الاجتماعية فظلت روما منقسمة إلى ثلاث طبقات: النبلاء أو الأشراف، والفرسان الذين يمثلون العائلات الغنية الذين جمعوا ثروتهم من فلاحه الأرض، التجارة وأعمال مالية أخرى، أما طبقة العامة فهي تتكون من الفقراء ومن الطبقة المتوسطة المحدودة الدخل، وفي حقيقة الأمر كان النبلاء والفرسان سادة روما، والقابضين الحقيقيين على زمام السلطة فيها.

خارج روما وفي نفس تلك الفترة تعرضت العاصمة الرومانية لمحاولات غزو أتروسكية فهاجمها في بداية العصر الجمهوري الملك الأتروسكي لارس بورسينا (Lars Porsenna)، يقول تاسيتوس (Tacite) أنه أخذ المدينة عنوة، ويقول بلين (Pline) أنه جرد أهلها من السلاح، ولم يسمح لهم باستعمال الحديد سوى في مجال الزراعة، وتتحدث الروايات التاريخية بأن روما لم تتخلص منه إلا حين هُزِمَ أمام تحالف بين اللاتين والإغريق، وفي هذه الفترة تحديداً فقدت روما العديد من المناطق الإيطالية التي غزاها تاركينيوس في شمال التبر، ويُعْتَقَدُ كذلك أن عدد القبائل المنضوية تحت لواء روما قد تضاعف عددها من 30 إلى 20 قبيلة، ولكن روما سرعان ما استعادت عافيتها وبدأت مواجهتها ضد اللاتين، والذين تحالفت مدنها مع آل تاركينيوس ضدها، وفي هذه الظروف أقام الرومان على أنفسهم أول دكتاتور هو أولوس بستوميوس (Aulus Postimus) الذي انتصر على هذا الحلف اللاتيني، ويؤكد الرومان في هذه الحادثة أنهم قد تلقوا العون من

الإلهين كستور (Castor) وبولوكس (Pollux) اللذان غادرا جبال الأولمبس ليحاربا بين صفوفهم.

عملت روما بعد ذلك على اخضاع السابين (Sabins) والهرنيش (Les Herniques) والآيكي (Les Eques)، والفولشكيين أو الفولسك (Les Volsques) والأورانثكي (Les Aurences)، ثم دمرت مدينة فياي Veies الكبرى 395 ق.م، لكن الغالين الذين غزوا شبه جزيرة إيبيريا والذين كانوا ينوون غزو شبه جزيرة اليونان، اجتازوا حدود أمبوريا وأتروريا وحاربوا الرومان في آليا (Allia) سنة 390 ق.م، أحرقوا روما لكنهم لم يستطيعوا الصعود وتسلق الكابيتول، ليتمكن بعد ذلك الضابط فيريوس كاميلوس Furius Camillus من هزيمتهم وتشتيتهم.

واصلت روما توسعها في إيطاليا حيث استطاعت بين سنتي 343 ق.م و 290 ق.م خوض ثلاثة حروب ضد السمنيين (Les Samnites) وفي تلك الأثناء انشغلت الفرق الرومانية بمحاربة بعض التمردات في اللاتيوم، أتروريا وكمبانيا، ومع حلول سنة 290 ق.م، وبعد معارك فاديمون (Vadimon)، سونتينيوم (Sentinum) وأكيلونيا (Aquilonie) استطاعت روما اخضاع السمنيين.

هزمت بعد ذلك روما اللوكانيين والبروتيين سكان (البروتيوم) (Brutium) جيران تارنتوم (Tarente) الإغريقية التي استتجدت بالملك بيروس (Pyrrus) ملك إيبيروس الذي انتصر على روما في هيراكلى (Heraclée) وأسكولوم، وذلك بفضل خطته الحربية الناجحة واستعماله الفيلة في حربه، وبدل الاتجاه شمالا، اتجه نحو صقلية وحين عاد إلى إيطاليا هزمه الرومان في بينيفونت (Bénévent) 275 ق.م ودخل الرومان تارنتوم 272 ق.م.

ويمكن القول أن روما غزت إيطاليا دون ضابط أو رجل حرب كبير، ولكن بمجموعة من الفلاحين وعوام منضبطين ومطيعين كثيران الحرث، كانوا يندفعون نحو أعدائهم دون خوف ولا نصب. استطاع الرومان الحفاظ على المناطق التي غزوها بفضل المستعمرات التي أسسوها هنالك، وبفضل الحصون التي شيدها والطرق العسكرية التي تمكنوا من شقها عبر الأراضي الإيطالية. كما قسموا الإيطاليين الذين هزمهم إلى تابعين وحلفاء وذلك من أجل استمرار السيطرة عليهم.

-I الحروب البونية

مع بداية القرن الثالث ق.م أصبح النبلاء والفرسان في روما أكثر قوة ونفوذاً، استطاعوا شراء الأصوات في انتخابات الجمعيات المثوية، شكلوا الطبقات الاجتماعية على حسب رغباتهم بالتعاون مع الكانسور (Le Censeur) وأحاطوا أنفسهم بمجموعات من العامة استعملوهم كأتباع لهم.

في خارج روما أُعْلِنَت الحرب من طرف الرومان على قرطاجة، في الحرب البونية الأولى (264-241 ق.م) احتل الرومان صقلية، وانتصروا في معارك بحرية بقيادة القنصل كايوس دوليوس (Caius Dullius) مثل ميلاي (Mylae) شمال صقلية، ومعركة رأس إكنوم (Cap Ecnome) جنوب صقلية، وواصلوا توجيههم نحو إفريقيا لولا سقوط القائد الروماني ماركوس ريغولوس (M. Regulus) سجيناً بيد القائد الأسبرطي كسونتيب (Xantippe)، لذلك تراجعوا إلى صقلية ورغم المجهودات التي بذلها هاميلكار (Hamilcar) إلا أن المعركة البحرية التي وقعت بالقرب من جزر الايقات (Iles Egates) والتي انتهت لصالح روما، الامر الذي جعل قرطاجة تخسر صقلية سنة 241 ق.م.

واصلت روما غزوها لجزر الحوض الغربي للمتوسط، فأخضعت جزيرة كورسيكا (Corse) وكذا سردينيا (Sardaigne) وفي شمال إيطاليا حاربت الغالين في غالة القريبة بوادي البو، كما أخضعت ايستيريا (Istrie) (شبه جزيرة تتبع دولة كرواتيا)، وحين اندلعت الحرب البونية الثانية (219 ق.م - 201 ق.م) والتي وصفها بعض المؤرخين الغربيين بأنها كانت حرباً بين رجل كبير ضد شعب كبير، حنبل بن هاميكار الذي استباح مدينة ساجونتوم (Sagonte) في الساحل الشرقي لإسبانيا، وهي مدينة حليفة لروما أسسها الإغريق، وكان ذلك في 219 ق.م.

اجتاز حنبعل إسبانيا وأجزاء من بلاد غالة، وعبر جبال الألب 218 ق.م بجيش قل عدده إلى النصف حين وصل إيطاليا، حارب الرومان في تيسان (Tessin) شمال إيطاليا (شمال البو) وفي تريبيبا (Trébie)، جمع معه الغالين من غالة القريبة واستطاع غزو إيطاليا بمساعدتهم، انتصر في بحيرة ترازيمان (Trasimène) (وسط إيطاليا) بالقرب من روما، لكنه لم يستطع أخذ مدينة روما ولا استنهاض شعوب وسط إيطاليا ضدها، أما في الجنوب فقد حقق انتصارات أخرى في معركة كاناي Cannes (جنوب شرق إيطاليا في قدم الساق الإيطالية)، حرض كابوا Capoue وسيراكوز (Syracuse) على الثورة ضد روما والحرب لصالحه.

وفي نفس تلك الفترة انتصر الرومان على فيليب الخامس (Philippe V) ملك مقدونيا، كما استطاعوا اخذ سيراكوز وارسلوا قوات إلى إسبانيا لقطع الطريق على هسدروبال (Hasdrubal) الذي جاء لنجدة حنبعل، هذا الأخير الذي كان يعسكر بمدينة بروتيوم (Brittium) بإقليم كالابريا أين أخذها منه الرومان ثم نقلوا الحرب إلى إفريقيا، لينهزم في الأخير من قبل سكيبيو (Scipion) والأمير النوميدي ماسينيسا في معركة زاما Zama سنة 202 ق.م، لتتخلى بذلك قرطاجة عن كل ممتلكاتها خارج إفريقيا وتسلم فيالقها وسفنها الحربية، وتدفع جزية لروما سنة 201 ق.م.

لاحقت روما حلفاء حنبعل، الملك فيليب ملك مقدونيا الذي هُزِمَ في سينوسيفال (Cynosephale) بإقليم تساليا باليونان، والملك انتيخوس Antichous ملك سوريا الذي هُزِمَ في تيروموبيل Thermopyles باليونان بين تساليا ووسط اليونان، وكذلك في مانيزي (Magnesie) بآسيا الصغرى (مانسيا تركيا)، اشترى الإيتوليون السلم، تم إعدام فيليبومان (Philopomen) رغم رابطة الأخيين، أما حنبعل فقد تناول السم مخافة أن يظفر به

الرومان، لعزم بروسياس (Prusias) ملك بيتينيا (192-148 ق.م) تسليمه لهم سنة 183 ق.م .

وبعد معارك شرسة بإسبانيا وبغاليا القريبة أعادت روما احتلال مقدونيا حيث هُزمَ الملك بيرسي Persée آخر ملوك مقدونيا من طرف القائد الروماني بول إيميل (Paul-Emile) في بيدنا (Pydna) (شمال شرق اليونان) سنة 168 ق.م وأُخذَ إلى روما ليعرض في احتفالات النصر وبذلك تحولت مملكته وبلاد اليونان إلى مقاطعتين رومانيتين 146 ق.م.

قام كاتو الكبير (Caton l'Ancien) بتحريض ماسينيسا ضد قرطاجة ليتحرك بعد ذلك سكيبيو الإيميلي نحو قرطاجة ليدمرها سنة 146 ق.م، وبعد هذه الحرب الثالثة تحرك سكيبيو الإيميلي نحو إسبانيا لظهور تمردات ضد الرومان هناك، أين حاول العديد من القناصل والقادة الرومان اخضاع مدينة نومانس دون جدوى، ليحاصرها سكيبيو ويدفع سكانها الرافضين للاستسلام للانتحار من خلال قتل بعضهم البعض، أما من بقي منهم فقد بيعوا كعبيد، وكان ذلك سنة 133 ق.م. ومن أجل ربط إيطاليا بإسبانيا أسس الرومان مقاطعة غالة عبر الألب (La Gaule Transalpine) وعمرها مدينة ناربون Narbonne سنة 125 ق.م (جنوب فرنسا على البحر المتوسط بالقرب من الحدود الاسبانية).

II - أحداث القرن الأخير من عمر الجمهورية

أما في افريقيا فإن الملك النوميدي يوغرطا الذي لم يكن يرى في روما سوى مدينة للبيع فقد استطاع شراء ذمم كل القادة الذين أرسلتهم روما لمحاربته، ليقع في الأخير في قبضة القائد ماريوس (Marius). شعر الرومان بالأمن والسلم في الجنوب، لكن الشمال ظل الناحية التي تحمل التهديد لروما، حيث حاولت قبائل الكمبري (Cimbres) التوتون

(Teutones) هزيمتهم في أكاي سكتياي (Aquae Sectiae)، (Aix-en-Provence) الحالية (29 كلم شمال مرسيليا) (102 ق.م)، في فركاي (Verceil) 101 ق.م (سهل البو).

في الشرق غزى ميثريدات (Mithridate) ملك البونت آسيا الصغرى، كما استطاع استنهاض بلاد اليونان للثورة ضد روما، لكن سيلا (Sylla) الذي توجه بحمله إلى الشرق استطاع اخضاع أثينا وانتصر على ميثريدات في كيروني (Chéronée) (باقليم بيوتيا باليونان) وأوركومان (Orchomène) (إقليم بيوتيا)، كما استطاع لوكيلوس سيلا هزيمة ملك أرمينيا تيقران (Tigrane) حليف ميثريدات.

استطاع بومبي الانتصار على ميثريدات ودفعه الى الانتحار، سنة 63 ق.م كما دخل أورشليم (Jerusalem)، نظم شؤون الحكم فيها، وجعل من بلاد البونت، كيليكيا، سوريا مقاطعات تتبع الجمهورية الرومانية، هذا بالإضافة إلى مقاطعة بيثينيا التي ألحقت بالجمهورية سنة 75 ق.م.

عمل قيصر على غزو بلاد غالة بين سنتي 59 و 51 ق.م، حيث دفع بالجرمان بقيادة اريوفيست (Arioviste) الى ما وراء نهر الراين (Rhin)، توغل في بريطانيا (Le Grande Bretagne) 55 ق.م، هزم أندولتيومار (Indulthiomare) زعيم التريفيريين (Trévires)، و أومبيوريكس (Ambiorix) وكذلك الزعيم الغالي فيركنجيتوريكس (Vircingetorix).

أما في داخل روما وفي هذه المدة الطويلة التي تلت الحروب البونية، فقد تآكلت طبقة الملاك الصغار للأراضي من جراء الحروب والظروف التي كانت تعيشها روما في تلك الفترة.

حاول بادئ الأمر كل من كاتون الكبير وسكيبو إيميليانوس انقاد هذه الطبقة، ولكن تعالي النبلاء وازدرائهم لها وكذلك عداء العامة لهؤلاء الأرستقراطيين حال دون ذلك، وفي هذه الظروف ظهر منادون بالإصلاحات بداية بالأخوين تيبيريوس وكايوس جراكوس اللذان أرادا توزيع قطع من الأراضي على العامة في روما، تلك الأراضي التي استحوذ عليها النبلاء منذ زمن احتلالها ووضع اليد عليها من طرف الرومان، وبما أن تيبيريوس وكايوس جراكوس لم يكن لهما سند قوي حتى في أوساط العوام أنفسهم والذين تعاملوا مع تحصيل حقوقهم بانتهازية شديدة، فقد استطاع الأرستقراطيون القضاء عليهما والتخلص منهما. بين 133 ق.م و 121 ق.م.

كان الفقراء، والمعدمون في روما يتطلعون للانخراط في الجيش بدل خدمة الأرض لذلك استجابوا لنداء ماريوس الذي عمل على ادخال اصلاحات كبيرة في الجيش الروماني، أما الإيطاليون الذين لم يقنعوا ببعض الحقوق التي أراد الترانة تحصيلها في روما من أمثال ساتورنونوس Saturninus ودراسوس Drusus، فقد بدأوا حريهم الاجتماعية ليحصلوا من خلالها على حق المواطنة بموجب قانون بلاتيا بابيريا (Platia Papiria) سنة 83 ق.م.

أصبح النظام الجمهوري بعد تلك السنوات مجرد اسم فقد أصبحت الجيوش لا تأتمر بغير أمر قادتها وكان ذلك سبب الحرب بين ماريوس وسيلا هذا الأخير الذي انتصر على عدوه وأعاد لمجلس الشيوخ (السيناتوس) كل صلاحياته على حساب الطبقة العامة، الفرسان، والإيطاليين.

بعد موت سيلا سنة 78 ق.م ظهر على المشهد السياسي والعسكري في روما كل من بومبي وكراسوس المنتصرين على لبييدوس الذي زحف بجيشه على روما ليولي نفسه قنصلا لسنة 77 ق.م، وكذلك على سورتوريوس الذين كان يحكم اسبانيا والمحسوب على

أنصار ماريوس والذي كان يشكل خطرا على روما لقوته وكثرة الجنود الذين كانوا تحت امرته.

وفي الوقت الذي كانت فيها روما منشغلة بحرب سورتوريوس بقيادة بومبي في اسبانيا وحرب ميثريداتس في الشرق بقيادة ماركوس لوكيلوس، اشتعلت ثورة جديدة في مدينة كابو (Capoue) سنة 73 ق.م كان ابطالها هذه المرة العبيد المجالدين أو المصارعين لتطلعهم للحرية والافلات من قبضة الرومان، فكان كراسوس من تصدى لها، حيث قتل منهم حوالي 12 ألفا، أما بومبي فقد قضى على الفارين من الحرب وهو عائد من اسبانيا ليقتل منهم حوالي 5000 رجل.

حاول كل من بومبي وكراسوس التقرب من الشعبين بعد حصولهما على قنصلية 70 ق.م، وذلك من خلال البغاء بعض قوانين سيلا التي تعيد الاعتبار لترابنة العامة وتعيد للفرسان مكائنتهم في محاكم المحلفين وكان سبب ذلك التقارب من الشعبين تكرر نبلاء الرومان لبومي الكبير بعد عودته من حملته في الشرق سنة 61 ق.م حيث أنهم منعه حتى إقامة موكب نصر له في روما.

وفي هذه الظروف حدث التقارب بين كل من بومبي وكراسوس ويوليوس قيصر ذلك الشاب الطامح للوصول إلى أعلى المراتب السياسية في روما والذي كان يتخذ موقفا معاديا للسيناتوس ولسياسة سيلا القمعية والمؤيد للشعبيين والطبقة العامة.

نتج عن ذلك التحالف وصول يوليوس قيصر إلى القنصلية سنة 59 ق.م لينطلق بعدها إلى بلاد غالة ليخضعها ويدخلها في حكم الجمهورية الرومان، وليصبح بعد عدة سنوات قائدا لأقوى الفرق الرومانية وأكثرها تمرسا على القتال، وهو ما جعل الرومان يتوجسون منه ومن قوته، ليعاودوا التقرب من جديد من القائد بومبي محاولين إبعاده عن

يوليوس قيصر خاصة بعد مقتل كراسوس على يد البارثيين في الشرق ووفاة ابنة قيصر التي كانت زوجة ليومبي.

حين انتهت مهمة قيصر في بلاد غاله أراد الترشح لقنصلية سنة 49 ق.م، الأمر الذي لم يوافق عليه النبلاء وبومبيين، وبعد فشل كل المفاوضات اندلعت الحرب الأهلية الثانية بين قيصر وفرقه العسكرية وبين النبلاء بقيادة بومبي، تلك الحرب التي انتصر فيها يوليوس قيصر على أعدائه في إسبانيا، إيطاليا، وفي اليونان في فرسال وتساليا، ليحاول اللحاق بعد ذلك ببعده بومبي إلى في مصر ثم ليلحق بقايا البومبيين في كل من إفريقيا (تبسوس) وإسبانيا (موندا).

لم يرق استفراد يوليوس بالحكم في روما بعد انتصاره على أعدائه لعدد من الأرسقراطيين، وبدعى الحفاظ على الجمهورية قامت مجموعة من نبلاء الرومان بالتآمر عليه وقتله، وكان على رأس أولئك القتلة كل من بروتوس جونيوس وفليسلبنيوس كاسيوس.

عرفت روما بعد مقتل قيصر حكما ثلاثيا كان يدار من طرف ثلاثة قادة هم اوكتافيوس، انطونيوس وليبيدوس وكان هدفهم الأول الانتقام من قتلة قيصر، وبعد هزيمة بروتوس وكاسيوس في معركة فيليبيا باليونان 40 ق.م سرعان ما انسحب ليبيدوس من المشهد في روما ليقسم كل من أكتافيوس وأنطونيوس الحكم في الجمهورية الرومانية، ولكن أنطونيوس سرعان ما تعرض لهزيمة نكراء على يد البارثيين الأمر الذي سهل على أكتافيوس القضاء على جيشه وهزيمته في معركة أكتيوم باليونان 30 ق.م، لتخلوا الساحة السياسية لأكتافيوس كحاكم أوحده لروما وليبدأ بذلك العهد الامبراطوري وينتهي العهد الجمهوري الذي بدأ حوالي 509 ق.م.

المحاضرة العاشرة

روما خلال العصر الإمبراطوري

جمع أكتافايوس (Octave) في شخصه كل المناصب العليا التي كانت في عهد الجمهورية ومنحه السيناتو سنة 27 ق.م لقب أغسطس (Auguste)، قام أكتافايوس بإقصاء كل من لم يكونوا مستعدين للتضحية من أجله في هذا المجلس (أو المتحمسين لحكمه) ووطد سلطته بتنظيم جيش دائم ومحترف، لم يكن الوضع قبل قيام الامبراطورية يعجب النبلاء ولا سكان المقاطعات الذين تعبوا من الانقسامات والصراعات بين السيناتو والعامّة لذلك اصبحوا يفضلون حكما مستقرا.

حين حقق أكتافايوس طموحه بالوصول إلى الحكم، بدأ في إصلاح التصدعات التي كان هو طرفا في إحداثها، كان حكمه يمثل العصر الكلاسيكي للأدب الروماني، وقد وصلت اللغة اللاتينية إلى أوج تفوقها على اللغات الأخرى حيث صدرت بها أجمل الأعمال الأدبية، بدأ الأدب اللاتيني الروماني يتميز في هذا العصر عن الأدب اليوناني فظهرت بذلك أعمال الشاعر فيرجيلوس (Virgile) في الشعر وأعمال المؤرخ تيتوس ليفيوس في النثر.

العصر الامبراطوري من الاعلى (Le haut empire):

استطاع اغسطس الحاق كل من إسبانيا الشمالية، بلاد غالة الغربية، رايتيا (La Rhétie) (شمال غرب ايطاليا) النوريك (Le Norique) (جنوب رايتيا مباشرة)، بانونيا (La Pannonie) ومنطقة ميزيا (La Mésie) بين حوض الدانوب وبلاد البلقان إلى السيادة الرومانية. ترسخ خلال بدايات الامبراطورية حكم مستبد من طرف الامبراطور الذي خلف

اغسطس وهو تيبيريوس (Tibère) (14-37م)، الكل أصبح يسارع لخدمة الامبراطور بشكل تنافسي بين القناصل، والسيناتورات والفرسان حسب تاسيتوس (Tacite).

تحولت كل من كبادوكيا (Cappadoce) وكوما جان (Commagène) إلى مقاطعتين رومانيتين في عصر تيبيريوس. بدأ غزو بريطانيا (Bretagne) في عصر كلوديوس (41-54 م) وليستمر هذا التوسع بعد ذلك في عهد نيرون (54-68 م) ومع هذا الطاغية الذي افتتح زمن تعذيب واضطهاد المسيحيين انطفأت شمعة عائلة أغسطس.

بعد ثلاث محاولات للاستيلاء على السلطة من طرف الجيش الروماني تمكنت عائلة جديدة من الإمساك بزمام الأمور وأعطت لروما ثلاثة أباطرة بين 69-96م، اعتلى عرش روما فاسباسيان (Vaspasien) وفي عهده احتلت أورشليم ودمرت بالأسلحة الرومانية سنة 70 م، كما قمع تمردا لشعب الباتاف (Bataves) وتوقف غزو بريطانيا. خلفه في حكم روما ولداه تيتوس فلافيوس Titus Flavius (79-81 م) ودوميتيانوس (81-96 م).

ومع اختيار نيرفا Nerva امبراطورا لروما سنة 96 م، عاشت الامبراطورية الرومانية، أزهى عصورها، والذي استمر إلى غاية حكم ماركوس أوريليوس (Marc Aurèle) سنة 180 م، وألحقت بالأملك الرومانية كل من داتية (Dacie) (شرق أوروبا رومانيا الحالية)، بلاد الرافدين، أرمينيا وجزء من بلاد العرب. من أشهر أباطرة هذه الفترة تراجان (Trajan) (98-117م) وهادريانوس Hardien (117-138م) من عائلة الأنطونيين (Les Antonins). توفي ماركوس أوريليوس خلال حرب مع الماركومانس (Marcomans) شعب جرمانى ، أولئك الذين أبرم معهم كومود (Commode) ابن ماركوس أوريليوس صلحا غير مشرف للرومان.

عمت فترة من الفوضى بعد انتهاء حكم الأنطونيين أين أصبحت الإمبراطورية عرضة لاستبداد قادة الجيش، بدأت شعوب القوط (Les Goths)، الفرانكس (Les Francs)،

الألمان (Les Alamans)، البورغوند (Les Bourgandes) باقتحام الأقطار التي كان يسيطر عليها الرومان والذين كان عليهم في نفس تلك الفترة دعم حروبهم ضد الفرس (Les Perses).

تحت حكم بوبليوس فاليريانوس (Publius Valerianus) (253-260 م) وابنه الذي كان شريكا معه في الحكم إيجناتيوس غالينوس (Egnatius Gallienus) حاول ثلاثين متمردا الوصول إلى الحكم أو منصب الإمبراطور في روما.

وفي الخمس سنوات التي حكم فيها أوريليانوس (Aurilien) (270-275 م) استطاعت روما ضبط حركة التمرد والعصيان والغزوات الخارجية على حدودها، واسترجعت نوعا من هيبتها أمام أعدائها من الفرس وشعوب الجرمان أو شعوب الشمال.

العصر الإمبراطوري الأدنى (من حكم ديوكليتيانوس إلى سقوط روما)

يمكن القول أن شكل الحكم الجمهوري ظل محافظا عليه خلال العصر الإمبراطوري الأعلى، أي منذ اعتلاء أغسطس عرش الإمبراطورية، غير أن الأمر تغير مع مجيء ديوكليتيانوس (Diocletien) إلى الحكم سنة 284 م، حيث بدأ عهد جديد، منح هذا الإمبراطور تنظيما ملكيا للحكم الإمبراطوري مستوحًا من الشرق، ومن أجل مواجهة البرابرة تحرك في جميع الاتجاهات، أشرك معه ماكسيميان في الحكم ورقاه إلى رتبة قيصر أي نائب الإمبراطور وولي عهده، وأرسله لمواجهة القبائل الجرمانية في لاية غالة، وبعد مجهود مثمر من ماكسيميان رقاه ديوكليتيانوس إلى مستوى أغسطس سنة 286 م.

وخلال حكم ديوكليتيانوس أدت الانتصارات على الفرس إلى تمدد حدود النفود الروماني في آسيا ولكن في نفس الوقت عرف المسيحيون اضطهادا ومضايقات شديدة. وقد أدى انقسام الإمبراطورية بين الإمبراطور ونائبه ونائبها إلى حروب داخلية.

اعتق الإمبراطور قسطنطين (Constantin) سنة 312 م المسيحية و أصدر مرسوما سنة 315 م ، يسمح للمسيحيين بممارسة عبادتهم بكل حرية، تلك الديانة التي كانت قد انتشرت في جميع مقاطعات الإمبراطورية، وظل يحكم إمبراطورية روما بمفرده، وفي سنة 323 م نقل العاصمة الى بيزنطا (Byzance) 329م، أعطى الدولة تنظيمًا مؤسسًا على المركزية في القرار وفي نفس الوقت فصل نهائيًا بين الوظائف المدنية والعسكرية، ولذلك أحدث أربعة ولايات:

- ولاية غالة (Gaules) وتحوي 5 أبرشيات
- ولاية إيطاليا (Italie) وتحوي 4 أبرشيات
- ولاية ايليريا (Illyrie) وتحوي 5 أبرشيات
- ولاية الشرق (Orient) وتحوي 5 أبرشيات

ولا تتبع مدينتي روما ولا القسطنطينية (Constantinople) لأي من تلك الولايات وكانت كل منهما ولاية بذاتها.

انقسمت الإمبراطورية إلى إمبراطوريتين شرقية وغربية وحين مات قسطنطين انقسمت الامبراطورية بين أبنائه الثلاثة، ثيوديتيوس الكبير (Théodose) استطاع إيقاف هجمات القوط وحافظ على الإمبراطورية في حكمه وحزم الديانة الوثنية، قسم ثيودوز أثناء موته الإمبراطورية بين ابنه حيث منح الشرق لابنه أركاديوس (Arcadius) والغرب لابنه هونوريوس Honorius.

مزقت الثورات الداخلية وكذلك الهجمات الخارجية لشعوب القوط (Goths) والفرانكس (Francs) والبورقوند Burgondes والفندالس (Vandales) الإمبراطورية الغربية التي كانت تتكون من ولايتي غالة وإيطاليا ثم روما ورافينا (Revenne) كعاصمة لها. نهبها القوط ودمرها منذ حكم الامبراطور هونوريوس وخربت من طرف الفندالس وسقطت أخيرا

تحت ضربات القائد أوداكر Odoacre زعيم الهيرول (Hérules) الذي أطاح برومولوس أوغستيل (Romulus Augustile) من عرش الامبراطورية سنة 476 م، ومنذ ذلك الحين لم تعد روما سوى دولة تتبع أباطرة الشرق.

أسباب سقوط الامبراطورية الرومانية:

اختلفت أسباب سقوط الإمبراطورية حسب المؤرخين وذلك من خلال التفسيرات المختلفة والمتباينة التي قدمها هؤلاء والتي تراوحت بين أسباب دينية وعقلانية واقتصادية وطبيعية وخارجية.

فهناك من رأى مثل زوسيموس (Zosimus) أن المسيحية هي المسؤولة عن تردي الأحوال الاقتصادية في الإمبراطورية، وأن سقوط روما على يد الآريك هو رد فعل لغضب الآلهة الوثنية التي صنعت روما وثبتت عظمتها، وبذلك يكون الإمبراطور قسطنطين هو المسؤول الأول عن ذلك. ويرد أوريسيسوس على هذا الرأي بأن الرومان إبان عصورهم الوثنية لاقوا من الهزائم ما هو أقسى مما لاقوه في العصر المسيحي فلا ذنب للمسيحية في ذلك.

وهناك فريق من الأساتذة من يعزون تدهور الإمبراطورية إلى تقلبات مناخية تولد عنها إصابة المحاصيل الزراعية بسبب الجفاف، ونتج عن ذلك مجاعات أدت بدورها إلى ثورات، وقبل كل ذلك تحرك القبائل البربرية من الجرمان والقوط بحثا عن الطعام وهي القبائل التي هاجمت الإمبراطورية في الغرب ووضعت حدا لها.

وهناك من أرجع الأمر إلى الإفلاس الزراعي الناتج عن انهك التربة وإهمال الحكومة لرعاية أي مشروعات لتحسين الزراعة مثل الري والصرف وقلة الإنتاج وزيادة التكاليف

وزيادة قيمة الضرائب، مما شجع الناس على ترك المزارع لتتحول إلى مراعي، وقد لوحظ ذلك في قائمة أسعار اللحوم الصادرة عن حكومة ديوقليديانوس حيث لوحظ هبوط سعر اللحوم، بينما ارتفعت أثمان المحاصيل الزراعية، يضاف إلى ذلك تفاقم خطر الأوبئة التي راح ضحيتها الآلاف من سكان الريف مما نتج عنه النقص الشديد في الأيدي العاملة خاصة في مجال الزراعة، كما يرى آخرون أن بعث الإمبراطورية الفارسية في الشرق أغرق إمبراطورية الرومان في حروب باهظة التكاليف بينما فشلت الإمبراطورية في مقاومة الغزاة.

كما أن التجارة الدولية لم تكن في صالح الاقتصاد الروماني لأنها كانت تجارة كماليات مثل العاج والحريز والتوابل والعطور، وبالتالي لم تكن روما تصدر أشياء مقابلها لأن صناعاتها كانت بدائية للاستهلاك الداخلي فقط، فضلا على أن الرومان لم يشجعوا على الصناعة لأنهم كانوا يحتقرون هذا النشاط، كما أنهم منعوا توظيف أموالهم في التجارة التي اعتبروها من شيم العبيد وليست من شيم الأحرار.

أما جونر فيرى أن سبب سقوط الإمبراطورية هو هجمات الشعوب المعادية مثل الجرمان والهنون والفرس وغيرهم وليس الاقتصاد.